أثر سقوط المدن على الأدب الأندلسي في عصر الطوائف

The impact of the fall of the cities on Alandalus literature in the era of Taifa

د. سليم حاج سعد

قسم العلوم الانسانية -جامعة الوادي(الجزائر)
salim-hadj.sad@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2020/04/30 تاريخ القبول: 2022/03/14 تاريخ النشر: 2022/03/15

الملخص:

يتناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل تأثير سقوط المدن الأندلسية في يد النصارى خلال عصر الطوائف على الأدب الأندلسي، هذا التراجع الذي أثر على البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذا الأدبية للأندلس، وقد ركزنا في بحثنا هذا على تأثير سقوط ثلاث مدن أندلسية مهمة كان لها أثر كبير خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، وهذه المدن هي : بربشتر، طليطلة، بلنسية، ومن أجل تناول الموضوع بشكل دقيق كان لزاما علينا التطرق إلى مقدمة تاريخية حول حيثيات سقوط هذه المدن الثلاث في يد النصارى الأسبان، مع التركيز على فداحة نتائج ذلك السقوط على نفسية الأندلسيين، وبعد ذلك كان الدخول لصلب الموضوع وتتبع تأثر الأدباء الأندلسيين بهذه الأحداث التاريخية المؤلمة، كل على حسب المدينة التي عاصر سقوطها، مع إيراد أمثلة من أدبهم.

الكلمات المفتاحية: الشعر ؛ الأندلس؛ ملوك الطوائف؛ المرابطين؛ سقوط المدن؛ رثاء.

Abstract

This topic deals in some detail with the impact of the fall of Andalusian cities in the hands of Christians during the era of Taifas on Andalusian literature, this retreat that affected the political, economic, social and literary structure of Andalusia, and we have focused in our research on the impact of the fall of three important Andalusian cities that had a great impact during The fifth century AH atheist ten century AD, and these cities are: Berberchter, Toledo, Valencia, and in order to address the topic accurately, we had to address a historical introduction about the reasons for the fall of these three cities in the hands of the Spanish Christians, with an emphasis on the gravity of the consequences of that fall on the psyche Andalus Yin, and then it was to enter the crucifixion of the subject and track the influence

of Andalusian writers on these painful historical events, each according to the city that its downfall occurred, with examples from their literature.

Key words: poetry; Andalusia; sects of Taif; Almoravids; cities fall; pathos.

مقدمة:

تميز الأدب الأندلسي على نظيره في بلاد المشرق أو المغرب بالعديد من المميزات، وهي التي أملتها الظروف السياسية والتطورات الميدانية الخاصة ببيئة بلاد الأندلس، وكذا الوضعية الجيوسياسية التي كانت تتميز بها كثغر من ثغور الجهاد المتواصل منذ فتحها على يد طارق بن زياد، على اعتبار مواجهتها المباشرة والدائمة للنصارى الأسبان، ومن بين مميزات الأدب الأندلسي في هذا السياق نجد : رثاء المدن، حيث تأثر الأدب الأندلسي لضياع المدن خاصة بداية من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، ومن بين المدن الأولى التي سقطت في يد النصارى نجد كلا من مدينة بربشتر ومدينة طليطلة ومدينة بلنسية، وقد تأثر شعراء الأندلس لهذا العصر بهذه الفجائع خاصة مع ما قام به النصارى المحتلين من قتل وأسر بعشرات الألاف، ناهيك عن السبي وهتك الحرمات للنساء والولدان، فما هي هذه النكبات التي حدثت في الأندلس؟ وما درجة تأثيرها على الأدب الأندلسي؟

مؤثرات تاريخية :

لتناول هذا الموضوع بشكل دقيق كان لزاما علينا التطرق لتلك النكبات التي أصابت المجتمع الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري، هذا المجتمع الذي كان يمثلا نموذجا منفردا من التعدد العرقي والديني والثقافي[1]، وأهم تلك النكبات كان استيلاء النورمانيين على مدينة بربشتر سنة 456هـ، " .. فصك الأسماع وأطار الأقئدة وزلزل أرض الأندلس قاطبة وصير لكل شغلا يشغل الناس في التحدث به والتساؤل عنه والتصور لحلول مثله.."[2]، وهي الحادثة التي صورها لنا ابن حيان بدقة كبيرة، وذلك حين حاصر النورمانيون المدينة حصارا شديدا ورغم ذلك لم يتحرك يوسف بن هود لنجدتها، فاستمر الحصار أربعون يوما حتى كثر الجوع والعطش فطلب أهل بربشتر الأمان، فكان لهم ذلك، إلا أن النورمانيين غدروا بهم وقتلوهم جميعا ولم يتركوا إلا ابن الطويل قائد المدينة، والقاضي ابن عيسى، واستولوا على ما لا يحصى من الغنائم والجواري الأبكار حتى بلغ القتل فيها والسبي خمسون ألفا من الأندلسيين المسلمين، وترك قائد النورمانيين في المدينة حامية عددها ألف وخمسمائة من الخيالة وألفان من الرجالة[3].

أما المدينة الثانية التي سقطت في يد النصارى فهي مدينة طليطلة، والتي استولى عليها الأذفونش بعد أحداث كثيرة وصراعات داخلية تعود إلى حكم المأمون بن ذي النون، وقد ترك ابنه

القادر حاكما لطليطلة بعد وفاته، حيث أوصاه على شخصيتين مهمتين في الدولة وهما ابن الفرج قائد الجند والأعمال الديوانية، والفقيه القاضي أبو بكر بن الحديدي، وفي المقابل كانت مشيخة المدينة معارضة لولاية هذا الولد، وعليه كان الصراع بين هاتين الشخصيتين من جهة ومشيخة المدينة من جهة أخرى، فتسارعت الأحداث حتى قتلت الشخصيتان، فغضبت العامة وهاجت المدينة فهرب منها القادر بن ذي النون، والذي لجأ إلى الأذفونش (ملك نصراني)، ودعاه إلى محاصرة المدينة مع تقديم وعود بمنح وأموال وحصون مقابل مساعدته.

حاصر الأذفونش مدينة طليطلة ومعه القادر بن ذي النون سنة 474هـ ، والغريب أن أهل المدينة لم يستطيعوا مقاومته لعدم وجود قيادة موحدة لهم، فغلت الأسعار وكثر الجلاء والتخريب ولم ينصرهم أحد من ملوك الطوائف حتى سلمت له المدينة وحول جامعها إلى كنيسة سنة 478هـ، وكان لسقوط طليطلة أثر عظيم في نفوس أهل المدن الأندلسية الأخرى وكذلك الشعراء والأدباء.

وثالث المدن الأندلسية التي سقطت في هذه الفترة كانت مدينة بلنسية، وكان سقوطها راجعا إلى فرقة الأندلسيين وتناحر أمرائهم على السلطة، حيث إن القادر بن ذي النون وعده الأذفونش بحكم بلنسية بعد سقوط مدينة طليطلة، فما كان من هذا الأخير إلا أن مكث قريبا منها يترقب، وعند وفاة أمير بلنسية ابن عبد العزيز، دخلها ابن ذي النون، وفي المقابل قام أمير مدينة سرقسطة بتسليط السيد القنبيطور (قائد نصراني مشهور) على مدينة بلنسية وهذا حتى يبعد عنه حكم المرابطين الذين قدموا لنجدة الأندلسيين من النصارى، وفي هذه الأثناء حكم مدينة بلنسية ثائر يدعى القاضي بن جحاف، وهنالك قام بقتل القادر بن ذي النون واستولى على ممتلكاته، فقام السيد القنبيطور بحصار المدينة وبدعم من مملكة قشتالة متلاعبا بالمسلمين، فاستصرخ ابن جحاف بالمرابطين، وقبل وصول المدد اضطر لتسليم المدينة، وحينها طالبه السيد بممتلكات ونفائس القادر بن ذي النون فأنكر حيازته لها، فأخذ عليه السيد عهدا بأنه أن وجدها قتله، وبعد البحث وجدها بحوزته، فأضرم نارا وأحرقه مع مجموعة من رجال المدينة، وأثار هذا الحادث هلعا وسخطا كبيرين في شبه الجزيرة، وأثر على الاندلسيين عامتهم وخاصتهم ومن بينهم الشعراء والأدباء.

تأثير الهزائم على الأدب :

وقد تأثر الأدباء والشعراء بسقوط مدينة بربشتر سنة 456 هـ على يد النورمانيين، ومن بينهم الفقيه الزاهد ابن العسال فعبر عن ذلك في قصيدة[4] :

ولقد رمانا المشركون بأسهـــم لم تخط لكن شأنها الإصماء

هتكوا بخيلهم قصور حريمهـا لم يبق لا جبل ولا بطحـــاء

جاسوا خلال ديارهم فلهم بها في كل يوم غارة شعـــــواء

باتت قلوب المسلمين برعبهـم فحماتنا في حربهم جبنـــاء

كم موضع غنموه لم يرحم به طفل ولا شيخ ولا عـــذراء

ولكم رضيع فرقوه من امـــه فله إليها ضجة وبغـــــاء

ولرب مولود أبوه مجـــــدل فوق التراب وفرشه البيـداء

ومصونة في خدرها محجوبـة قد أبرزوها ما لها استخفاء

وعزيز قوم صار في أيديهـــم فعليه بعد العزة استخـذاء

لولا ذنوب المسلمين وأنهـــم ركبوا الكبائر ما لهن خفـاء[5]

يظهر لنا في هذه الأبيات أن ابن عسال كان متأثرا نفسيا لنتائج هذه الفاجعة، ومن خلال هذه الأبيات يحدد لنا مكمن المشكل وأصله حيث يقول : "فحماتنا في حربهم جبناء"[6]، إضافة إلى تحميله للأندلسيين جزءا كبيرا من سبب سقوط مدينة بربشتر، وذلك حيذ ذكر الشاعر بأنهم مجاهرون في الكبائر.

ومن بين الأدباء الأندلسيين الذين تأثروا لسقوط مدينة بربشتر أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني صديق المعتمد بن عباد أمير إشبيلية، وكان أبو حفص مقيما في مرسية، وعند سقوط بربشتر راسل صديقه المعتمد مرغبا إياه بالجهاد وأن الخطر النصراني قادم إليه لا محالة، فقال له في رسالة[7] من رسائله:

أعباد حل الرزء والقوم هجـــــع على حالة من مثلها يتوقـــــــع

فلق كتابي من فراغك ساعـــــة وإن طال فالموصوف للطول موضع

إذا لم أبثّ الداء ربّ دوائـــــه أضعت وأهل للملام المضيّـــــع

... وكتابي عن حالة يشيب لشهودها مفرق الوليد، كما يغبر لورودها وجه الصعيد، بدؤها ينسف الطريف والتليد، ويستأصل الوالد والوليد، تذر النساء ايامى، والأطفال يتامى ... طمت حتى خيف على عروة الايمان الانتقاض، وطغت حتى خشي على عمود الاسلام منها الانقضاض، وسمت

حتى توقع على جناح الدين الانهياض ... كأن الجميع في رقدة أهل الكهف، أو على وعد صادق من الصرف والكشف.

وفي أبيات أخرى يقول :

أعباد ضاق الذرع واتسع الخـــرق ولا غرب في الدنيا إذا لم يكن شرق

ودونك قولا طال وهو مقصـــــرا وللعين معنى لا يغيره النطـــــــق

إيك انتهت آمالنا فارم ما دهـــــى بعزمك يدمغ هامة الباطل الحـــق[8]

كما تطرق الأديب عبد الرحمن بن طاهر لسقوط مدينة بربشتر في رسالة فقال : " ... الخطب الأبقع والحادث الأشنع الجاري على المسلمين نصر الله مقامهم وجمع على الائتلاف مذاهبهم في بربشتر، وكان صدرا في القلاع المنيفة، وعينا من عيون المدائن الموصوفة، إلى ما سبق قبل في القلعة القلهرية وغيرها من مهمات الدور والمعاقل، وخطيرات الحصون والمنازل، فأطارت الألباب وطأطأت الرقاب، وصرم الأمل والهمم، وأسلم من المذلة والقلة إلى ما قصم، وأنك رأيت الحال في معرض جلائها للنواظر عيانا، ووصل بينها وبين الخواطر أسبابا وأشطانا، فما شئت من دمع مسفوح مراق، ونفس مترددة بين لهاة وتراق، وأسى قد قرع حصيات القلوب فرضها، وعدل عن المضاجع بالجنوب فأقضها، مآل تستك من سماعه الأسماع، وتضيق عن إيراد حقيقته الرقاع، فالله يدرأ في نحر ما فدح من الخطوب الكبار ويدفع، وإليه نلجأ فيما ألظ من عقيم الدواهي ونفزع، فمنه الغوث والانتصار، وعادة الإقالة إذا جد العثار"[9]، وفي هذه الرسالة نلحظ درجة التأثر لهذا المصاب الجلل حيث شغلت أديبنا عبد الرحمن بن طاهر، فامتزج أسلوبه بين الحزن واستنهاض الهمم.

كما تناول الأديب الكبير ابن عبد البر فاجعة بربشتر في رسالة على لسان أهل بربشتر وتم توزيعها على نواحي بلاد الأندلس حتى يكون الإحساس والشعور بعظم النكبة حيث يقول : فإنا خاطبناكم مستنفرين، وكاتبناكم مستغيثين، وأجفاننا قرحى، واكبادنا جرحى، ونفوسنا منطبقة، وقلوبنا متحرقة ... وذلك أنه أحاط بنا عدونا كإحاطة القلادة بالعنق، وحاربنا حتى ظفر بنا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، على ما تراءت منا العيون، من انتهاب تلك النعم المدخرات، وهتك ستر الحرم المحجبات والبنات المخدرات، وما كشف من تلك العورات المستترات. فلو رأيتم – معشر المسلمين . إخوانكم في الدين، وقد غلبوا على الأموال والأهلين، واستحكمت فيهم السيوف، واستولت عليهم الحتوف، واثخنتهم الجراح، وعبثت بهم زرق الرماح، وقد كثر الضجيج والعويل، ودماؤهم على أقدامهم تسيل، سيل المطر بكل سبيل، ورؤوسهم قدامهم تطير، ولا مغيث ولا مجير، وقد صمت

الأذان بصراخ الصبيان ونياح النسوان وبكاء الولدان، وعلت الأصوات، وفشت المنكرات، وتمرد الشيطان، واشتهر الطغيان ... وما ضنكم معشر المسلمين وقد سيقت النساء والولدان، ما بين عارية وعريان قودا بالنواصي إلى كل مكان، طورا على المتون، وطورا على البطون، مقرنين بالحبال، مصفدين بالسلاسل والأغلال، مقتادين في الشعور والسبال، إن استرحموا لم يرحموا، وإن استطعموا لم يطعموا، وأن استسقوا لم يسقوا، وقد طاشت أحلامهم، وذهلت أوهامهم وسخنت أعيانهم وتغيرت ألوانهم، فيا ويلاه ويا ذلاه ويا قرآناه ويا محمداه"[10]، في هذه الرسالة المؤثرة يحاول ابن عبد البر أن يستثير الهمم لنصرة مدينة بربشتر، حيث يصف الفواجع التي حلت بأهلها بشكل مؤثر جدا.

وفي نفس السياق يكتب ابن عبد البر على نفس الحادثة حين يقول أيضا على لسان أهل المدينة المنكوبة : " ولو كان شملنا منتظما، وشعبنا ملتئما، وكنا كالجوارح في الجسد اشتباكا، وكالأنامل في اليد اشتراكا، لما طاش لنا سهم، ولا سقط لنا نجم، ولا ذل لنا حزب، ولا فل لنا غرب، ولا روع لنا سرب، ولا كدر لنا شرب، ولكنا عليهم ظاهرين إلى يوم الدين... فتنبهوا قبل أن تنبهوا، وقاتلوهم في أطرافكم قبل أن يقاتلوكم في أكنافكم، وجاهدوهم في ثغوركم قبل أن يجاهدوكم في دوركم، ففينا متعظ لمن اتعظ وعبرة لمن اعتبر.."[11]، وهنا حاول ابن عبد البر أن يدعوا للوحدة والائتلاف، ورغم ذلك لم يتحرك ولا ملك من ملوك الطوائف لنصرة بربشتر أو غيرها من ثغور المسلمين في بلاد الأندلس.

أما فيما يخص سقوط مدينة طليطلة سنة 478 هـ أكثر مدن الأندلس تحصينا وقوة، وهي الحادثة التي ترتبت عليها نتائج أعظم وأخطر من سقوط مدينة بربشتر، فسقوط طليطلة هز الأندلس عامتها وخاصتها، كما كان سببا لدخول المرابطين بلاد الأندلس حيث أنهوا حكم ملوك الطوائف جملة وتفصيلا، فكان التحول الكبير في مسار التاريخ الأندلسي، فكان الشعور ببداية النهاية وبداية الغلبة للنصارى والصليب، كيف لا والأندلسيون يلاحظون أمام أعينهم كيف تتحول المساجد إلى كنائس، وكيف يقتل المسلمون بالآلاف وعشرات الآلاف، وكيف تؤسر المسلمات جواري لتهتك أعراضهن ويتم بيعهن، هذه المشاهد أثرت في العديد من الأدباء والشعراء كان من بينهم الشاعر ابن العسال، الذي شاهد مدينته وبلد مولده طليطلة تسقط في يد النصارى الحاقدين المتربصين بالمسلمين في شبه الجزيرة، حيث أخرج منها وأبعد، فشاهد بحسه الشعري كل الأندلس في خطر بعد سقوط طليطلة، وهو ما يعبر عن وضعيته النفسية المنهارة، فذهب يحذر الأندلسيين من البقاء في الأندلس داعيا إياهم إلى الرحيل والهجرة حيث قال :

يا أهل أندلس حثوا مطيكـــم فما المقام بها إلا من الغلـــــــط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

ونحن بين عدو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سفط[12]

رغم النظرة السوداوية التي كانت في أبيات ابن العسال، وهو أمر طبيعي جدا، لرجل عاش نكبة بحجم سقوط طليطلة، وهجر من بيته وأملاكه، وأكيد هناك من أهله وأقاربه وأصدقائه وجيرانه من وقع في الأسر أو القتل، إلا أن بعض الباحثين من ذهب إلى التبرير لهذه الأبيات، بالقول أن ابن العسال لم يكن يقصد هذا القول، وإنما كان يبالغ من أجل التنبيه والتذكير[13]، ونسي أن شاعرنا في نهاية الأمر إنسان، وينتابه ما ينتاب أي شخص من مشاعر الحسرة أو حتى الانهيار.

وتبقى القصيدة التي أوردها لنا المقري في كتابه نفح الطيب لشاعر مجهول، أبلغ تعبير عن فاجعة سقوط طليطلة، كما تبين لنا مدى تأثيرها في نفسية وشعر الشاعر الذي أقرض هذه الأبيات، فهو الذي استهل القصيدة بتصور حزن وبكاء كل ثغور الأندلس على سقوط المدينة فيقول في بعض أبيات القصيدة:

لتلك كيف تبتسم الثغور سرورا بعدما بئست ثغور

أما وأبي مصاب هد منه ثبير الدين فاتصل الثبور

طليطلة أباح الكفر منها حماها إن ذا نبأ كبير

وموتو كلكم والموت أولى بكم من أن تجاروا أو تجاوروا

وظل وارف وخرير ماء فلا قر هناك ولا حرور

رضوا بالرق يا لله ماذا رآه وما أشار به مشير

ونرجوا أن يتيح الله نصرا عليهم إنه نعم النصير[14]

ففي هذه القصيدة الطويلة التي اقتبسنا منها بعض الأبيات يعبر شاعرنا المجهول عن الفاجعة بشيء من الاختلاط في المشاعر، بين الحزن والأسى، والوصف، والتفسير، مع وجود بعض الأمر الذي يظهر بعيدا إلا أن الشاعر لم يلغه بشكل كلي، وهي قصيدة جاءت في جملتها سهلة مستساغة بعيدة عن التكلف والافتعال، معتمدة على أسلوب البساطة عنوانا لها، فيها من الإثارة والتفجع والحزن والسرد القصصي مليئة بالوسائل الفنية السهلة، مع خلوها من زخارف الصور البيانية حتى أصبحت شبيهة بالقطعة النثرية التاريخية.

فمثلا ينكر شاعرنا العلاقة بين الذنب والمصائب، رغم أنه يتبنى الفكرة على أساس أنها حافز خلقي، وعلى أساس أن الأندلسيين عظمت ذنوبهم واستفحلت، وحتى لا تتسبب لهم بمصير مشابه لمصير مدينة طليطلة ومن قبلها مدينة بربشتر، فيدعوا الأندلسيين إلى الجهاد والدفاع عن وجودهم وحياتهم في بلاد الأندلس وعدم اليأس والترحال مثلما نادى إليه ابن العسال[15] في صورة تعبر عن أقصى درجات اليأس والاستسلام، وأنه من المستحيل في مثل هذه الظروف أن تعود للمسلمين في الأندلس قائمة قوية وأن تصل بهم الأمور إلى عودة الانتصارات القوية على النصارى الإسبان.

كما فصل شاعرنا في هذه القصيدة الوضعية المهينة التي بلغها ملوك الطوائف، وما صنعوا مع ملوك النصارى مثل الأذفونش، محللا الأسباب التي قد تكون دفعت الأندلسيين لمثل هذه الوضعية بين الفقر والحرص على الرزق، أو لضعف الوازع الديني لديهم في هذا العصر، حيث يصب لومه على أهل طليطلة بجملتهم، والذين اختاروا البقاء تحت حكم النصارى والاسترقاق، مختارين البقاء في دورهم وأملاكهم بحجة عدم امتلاكهم لدور أخرى، فتكلم الشاعر على لسانهم حين قال: دعونا في مدينتنا فإنها ذات فاكهة طرية وماء نمير، وأن النصارى أقوى وأحمى لطليطلة من غيرهم ونحن ندفع لهم الجزية ويجمعون في آخر الصيف العشور، وفي الأخير يختم الشاعر المجهول قصيدته ببصيص من الأمل لعل الله ينصر المسلمين في طليطلة فيوفر الأسباب لتعود حرة قوية منتصرة على أعدائها.

أما بالنسبة للمدينة الثالثة التي سقطت في يد النصارى فهي مدينة بلنسية، والتي كما ذكرنا سابقا سيطر عليها السيد القمبيطور سنة 487هـ، وهي الحادثة التي أثارت الشاعر الأندلسي ابن خفاجة فقال في رثائها:

عاثت بساحتك العدى يـــا دار ومحا محاسنك البلى والنـار

فإذا تردد في جنابك ناظـــــــر طال اعتبار فيك واستعبـــار

أرض تقاذفت الخطوب بأهلـها وتمخضت بخرابها الأقـــدار

كتبت يد الحدثان في عرصاتها لا أنت أنت ولا الديار ديـــار[16]

ومن الواضح أن قصيدة ابن خفاجة أكثر أبياتا وأطول، ولم يبق منها إلا هذه الأربعة أبيات، وفيها رغم قلتها تعبير قوي وصادق عن مدينة بلنسية التي تردد عليها وأخذ منها العلم، وله فيها أصدقاء وأقارب، فكان أسلوبه حزينا متحسرا على ضياعها، وعلى سيطرت النصارى عليها وما أحدثوه في مساجدها ومعالمها، وهو الأمر الذي استنهض همم المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين

الذي جمع العدة لها واسترجعها وتحريرها من يد النصارى، فقال في هذه الحادثة الشاعر ابن خفاجة مستبشرا :

الآن سح غمام النصر فانهمـــــلا وقام صغو عمود الدين فاعتـدلا

ولاح للسعد نجم قد خوى فهوى وكر للنصر عصر قد مضى فخلا[17]

وهي أبيات تعبر عن الروح المنقلبة للشاعر ابن خفاجة بين الحالتين المتناقضتين تماما، بين الهزيمة والانتصار بين الذل والمجد، فكانت الأبيات متناغمة بشكل كلي في النبرة والموضوع والألفاظ بين الحادثتين.

وقد عاصر الأديب الأندلسي عبد الرحمن بن طاهر حال مدينة بلنسية فترة ضعفها ثم فترة سيطرة القنبيطور عليها وكان هو من بين أسرى المدينة، ومنها كتب إلى بعض اصدقائه يصف حال المدينة فقال : " فلو رأيت قطر بلنسية، نظر الله إليه، وعاد بنوره عليه، وما صنع الزمان به وبأهله، لكنت تندبه وتبكيه، فلقد عبث البلى برسومه، وعدى على أقماره ونجومه، فلا تسأل عما في نفسي، وعن نكدي ويأسي"[18]، وقد قدر الله للأديب ابن عبد الرحمن بن طاهر أن يعيش حتى استرجاع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مدينة بلنسية في شهر رمضان من سنة 495 هـ، فكتب بأسلوب مغاير عن هذا الفتح ويحمد الله على استرجاعها[19].

ومن محاسن الأقدار أن الأندلس بعد هذه النكبات الثلاث جاءها المدد من العدوة المغربية، حيث دولة المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين، هذا الأمير الذي جاء لنجدة الأندلسيين ومواجهة النصارى، فاضطر بمرور الوقت أن يزيل ملوك الطوائف ويوحد الأندلس ضمن دولة المرابطين، فأسقط عروشا كثيرة كبني الأفطس وبني عباد وغيرها، ومن الغريب أن عددا من الأندلسيين والأدباء تأثروا لهذا واعتبروه سقوطا وأخذ بعض الشعراء في نعي هذه العروش خاصة ما كان من نعي دولة بني عباد بإشبيلية، ومن هنا استمر هذا اللون الأدبي معبرا عن الحالة الانهزامية التي أصبحت سائدة في بلاد الأندلس.

خاتمة :

من خلال كل ما تطرقنا له، يمكنا استنتاج أن رثاء المدن في الأدب الأندلسي يعتبر خاصية وميزة بهذه البلاد، لما كانت تعانيه من فجيعة وخوف من القادم، فكانت الشخصية الأندلسية مع بداية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي شخصية مضطربة خائفة، تعيش أزمة داخلية عبر عنها الأدب الأندلسي في صور النكبات وسقوط المدن وضياعها، فكان الأديب الأندلسي بوصلة معبرة عن ما يعيشه المجتمع، وذلك لوحدة المصير والمآل، وكذا شراسة ملوك النصارى في معاملة

المسلمين الأندلسيين من قتل وأسر وسبي وإحراق وطمس للمعالم وتحويل للمساجد إلى كنائس، فكان ذلك التعبير المملوء بالحسرة والأسى عنوانا للون جديد من ألوان الأدب العربي

قائمة المراجع:

1 - أحمد بن المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968

2 - أبو عبد الله الحميري ،الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، 1974

3 - الأمير شكيب أرسلان ، الحلل السندسية في الأخبار والأثار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت

4 - ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة، بيروت، 1997

5 - شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق علي بوملحم، دار الكتب العلمية ، بيروت

6 - إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، الأردن، 1997

7 - محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980

8 - سليم حاج سعد، العرب والبربر في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، المجلد 02 ، العدد 02، 2018

[1] سليم حاج سعد، العرب والبربر في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، المجلد 02 ، العدد 02، 2018، ص203.

[2] أحمد بن المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج 6 ، ص 191.

[3] المصدر نفسه، ج6 ، ص 192.

[4] أبو عبد الله الحميري ،الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، 1974، ص 40، 41.

[5] الأمير شكيب أرسلان ، الحلل السندسية في الأخبار والأثار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج3 ، ص 518

[6] سبق ذكره في القصيدة السابقة

[7] ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة، بيروت، 1997، القسم الثالث ص 34

[8] شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق علي بوملحم، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج6، ص 166.

[9] ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق ، ق3، ص 54

[10] ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ق3، ص 176

[11] المصدر نفسه، ص 178.
[12] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج5، ص 261
[13] إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، الأردن، 1997، ص 147.
[14] المقري التلمساني ، المصدر السابق، ج 4، ص 483
[15] إحسان عباس، المرجع السابق، ص 148.
[16] محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980، ص 97.
[17] ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ص 100.
[18] ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ق3، ص 91.
[19] المصدر نفسه ، ص 32.